أن يجتاز الطريق وجسمه يقطر دما ووصل إلى سراى الحرم واستغاث بالنساء صائحا (فى عرض الحرم) ، وكانت هذه الكلمة ، تكفى فى ذلك العهد لتجعل من يقولها فى مأمن من الهلاك ، ولكن الجنود عاجلوه بالضرب حتى قطعوا رأسه ، وطرحت جثته بعيدا عن باب السراى ، وتمكن بعض المماليك من الوصول إلى حيث كان طوسون باشا راكبا جواده ، منتظرا أن تنتهى تلك المأساة ، فتراموا على أقدامه طالبين الأمان ... ولكنه وقف جامدا لا يبدى حراكا ، وعاجلهم الجنود بالقتل ، وتكدست جثث القتلى بعضها فوق بعض فى ذلك المضيق وعلى جوانبه ، حتى بلغ إرتفاع الجثث فى بعض الأماكن بضعة أمتار ، واستمر القتل إلى أن أفنى كل من دخل القلعة من المماليك ، ومن لم يدركه الرصاص مما وقع تحت جثث الآخرين ، أو فر فى نواحى القلعة ، أو تخلف عن الموكب ، ساقه الأرناؤود إلى الكتخدا بك (نائب الوالى) فأجهزوا عليه ضربا بالسيوف .

واستمر القتل من صحوة النهار إلى هزيع من الليل حتى امتلأ فناء القلعة بالجثث ، وهكذا دخل القلعة فى صبيحة ذلك اليوم أربعمائة وسبعون من المماليك وأتباعهم فقتلوا جميعا .

أحكم محمد على تدبير المؤامرة ، فلم يقف على سرها إلا أربعة من خاصة رجاله وهم حسن باشا قائد الجنود الأرناؤود ، والكتخدا بك محمد لاظ أوغلى ، وصالح قوش أحد ضباط الجند ، وإبراهيم أغا حارس الباب ، وصالح قوش السابق ذكره كان يقود كوكبة من الجنود الأرناؤود وهو الذى أمر بإقفال باب الغرب وأعطى إلى رجاله إشارة القتل .